إندونيسيا في أدب علي أحمد باكثير

بحث مقدم للمشاركة به في:

المؤتمر الدولي: فعالية دور الحضارمة في إندونيسيا

فندق بولمان، جاكرتا، إندونيسيا

22–23 نوفمبر 2017

إعداد:

الدكتور عبد الحكيم الزُّبيدي

الإمارات العربية المتحدة

إندونيسيا في أدب علي أحمد باكثير

ولد الأديب علي أحمد باكثير في سورابايا سنة 1910م، لأبوين من أصول عربية من حضرموت في اليمن. وحين بلغ باكثير العاشرة من عمره سافر به أبوه إلى حضرموت لينشأ هناك مع إخوته لأبيه، حيث كان لأبيه زوجتان إحداهما في إندونيسيا والأخرى في حضرموت. وقد مكث باكثير في حضرموت حوالي عشر سنوات تلقى خلالها تعليمه العربي والديني وظهرت مواهبه الأدبية مبكراً فنظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره. وكان عمه محمد بن محمد باكثير أديباً نحوياً ومحدثاً فقيهاً، فتلقى باكثير العلم على يديه ونهل من مكتبته الضخمة التي كانت تحوي أمهات الكتب في علوم العربية والدين والتاريخ. وكان باكثير قد زار والدته في إندونيسيا خلال مدة إقامته في حضرموت بين عامي 1927–1928، ونظم بعض الأشعار أثناء تلك الرحلة التي دامت قرابة العام.

وفي سنة 1932 غادر باكثير حضرموت إثر وفاة زوجته التي اختطفها الموت وهي في ريعان الصبا، وبعد أن ووجهت دعوته الإصلاحية بالمحاربة وعدم التقبل. فهام على وجهه في عدن والصومال واستقر زمناً في الحجاز ثم رحل إلى مصر حيث وصلها عام 1934 والتحق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً) وتخرج فيها عام 1940 من قسم اللغة الإنجليزية، وعمل بعد تخرجه بالتدريس في مصر لمدة خمسة عشر عاماً، ثم انتقل إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي، وبقي يعمل فيها حتى وفاته عام 1969. وقد تزوج باكثير في مصر وحصل على جنسيتها ودفن في ثراها. ورغم أن باكثير كان قبل قدومه إلى مصر يعد نفسه ليكون شاعراً كبيراً، إلا أنه غيَّر توجهه حين وصل مصر وتعرف على فنون أدبية أخرى استحوذت على اهتمامه وبرع فيها وهي الرواية والمسرحية الشعرية والنثرية. وإن ظل يكتب الشعر حتى وفاته ولكنه لم يعد في الصدارة من اهتماماته.

وقد ظلت إندونيسيا حاضرة في فكر وقلب وأدب باكثير رغم بعده عنها، فكتب عنها العديد من القصائد في حضرموت وخلال زيارته القصيرة لها، وبعد استقراره في مصر. كما كتب مسرحية عن استقلال إندونيسيا بعنوان (عودة الفردوس). وسنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على حضور إندونيسيا في أدب باكثير

بشقيه الشعري والمسرحي، لنرى أنها كانت حاضرة في فكره وقلبه، وأنه –رغم بعده عنها– كان يتابع ما يجري فيها من أحداث، وأنه كان يعتز بانتسابه إليها ومولده فيها.

إندونيسيا في شعر باكثير

كتب باكثير العديد من القصائد عن إندونيسيا قبل رحلته إلى مصر وأثناء إقامته فيها. ويمكن تقسيم أشعاره التي كتبها عن إندونيسيا إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول وهو الذي نظمه خلال رحلته إلى إندونيسيا لزيارة والدته، بعد أن تركها طفلاً في العاشرة من عمره، وذلك بين عامي 1927–1928م. ومعظم هذه الأشعار تدور حول التغزل في الفتيات الإندونيسيات اللاتي قابلهن خلال زيارته، خاصة أنه كان شاباً في ميعة الصبا، وقادم من بيئة محافظة هي حضرموت التي لم يكن للمرأة فيها حضور في الحياة العامة. وقد جمع أشعاره التي كتبها خلال تلك الرحلة التي امتدت عاماً كاملاً في ديوان صغير أسماه (باكورة الشعر).

القسم الثاني هي قصائده التي كتبها حول الخلاف الذي نشب بين الحضارمة في المهجر الإندونيسي حيث انقسموا إلى فريقين: الإرشاديين والعلويين، وقد وقف باكثير موقفاً محايداً فلم ينضم لفريق ضد آخر، بل دعا كلا الفريقين لنبذ الخلاف والتآخي، وهذه القصائد نظم معظمها خلال إقامته في عدن والحجاز. وهي مطبوعة في ديوان (سحر عدن) الذي يضم أشعاره التي نظمها في عدن، وقد طبع الديوان بعد وفاته، وبعض هذه القصائد متضمن في مسرحيته الشعرية التي كتبها في الحجاز ونشرها في مصر أول قدومه إليها وهي: (هُمام أو في بلاد الأحقاف).

القسم الثالث وهي قصائده التي نظمها في مصر، ومعظمها في الترحيب أو الرثاء لمفكرين وثوار من إندونيسيا قدموا إلى مصر، فحياهم باكثير ورثاهم عند موتهم، وأثنى على جهادهم في سبيل استقلال بلادهم. وهذه بعضها منشور في مجلة (الفتح) التي كان يصدرها محب الدين الخطيب، ولم تنشر في ديوان حتى الآن. وسوف نستعرض الأقسام الثلاثة في هذه الدراسة بشيء من الإيجاز، ونمثل لكل قسم منها بنماذج مختارة.

أولاً: قصائد إندونيسيا

ولد باكثير، كما أسلفنا، في سورابايا بإندونيسيا، ولكنه غادرها وهو طفل في العاشرة من عمره. وبعد أن أمضى قرابة سبع سنوات في حضرموت، سافر إلى إندونيسيا لزيارة والدته، وقضى هناك حوالي العام، نظم خلاله العديد من القصائد، وجمعها في كراسة وضع لها عنواناً هو (باكورة الشعر)[1]. ويحدد الدكتور محمد أبوبكر حميد المدة التي قضاها باكثير في إندونيسيا بقوله: "وشعره في إندونيسيا وسنغافورا يعود فقط إلى الفترة من شعبان 1345 الموافق مارس 1927 إلى شوال 1346 الموافق أبريل 1928 وقد أمضى هذه الفترة في زيارة إندونيسيا حيث كانت تقيم والدته بعد أن توقف قليلا في سنغافورا"[2].

وحين أصدر الدكتور حميد ديوان باكثير الأول وهو (أزهار الرُّبى) ضم إليه القصائد التي في (باكورة الشعر) وخلطها بقصائد ديوان (أزهار الرُّبى)، الذي رتبه حسب الموضوع، وليس حسب تاريخ القصائد، وقد صادف أن جاءت كل هذه القصائد في باب (النسيب)، وقد أشار د. حميد إلى ذلك في مقدمة الديوان[3].

ومن أمثلة هذه القصائد تلك التي نظمها في (مغنية بدار التمثيل)، وفيها يقول باكثير:

يا رَبَّةَ الحُلَّةِ الحمراءِ هجتِ هوىً ... في قلبِ صبٍ تناسى حُبَّه زمنا

لولا الحياءُ وعهدُ الحُبِّ من قِدمٍ ... إذ قلتِ: مَن يبتغي وصلي؟ لقلتُ: أنا

وكذلك قصيدته التي يصف فيها لقاءً تم في محطة القطار:

قاتل اللهُ أعيناً من فتاةٍ ... إندونيسيةٍ تُريكَ العجيبا

لبست حُلَّةَ الجمالِ مُوشَّاةً ... ولاثت ردا الشبابِ القشيبا

غازلتني بأعينٍ تركت في الـ ..... قلبِ جُرحاً وفي الفؤادِ نُدوبا

وقفت قِبلةَ المحطةِ تختا ..... لُ لتصطادَ بالعيونِ القُلوبا

---

[1]- السومحي، أحمد عبد الله: علي أحمد باكثير حياته وشعره الوطني والإسلامي، نادي جدة الأدبي، 1981، ص 87

[2]- باكثير، علي أحمد: أزهار الرُبى في شعر الصبا، تحقيق: محمد أبوبكر حميد، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، 1408هـ/1987م، المقدمة ص ص 19–20، والسومحي، أحمد عبد الله: علي أحمد باكثير حياته وشعره الوطني والإسلامي، مرجع سابق، ص 38

[3]- باكثير، علي أحمد: أزهار الرُبى في شعر الصبا، مرجع سابق، المقدمة ص 22

وقوله في فتاة (مَدورية)[1]:

(مَدوريةٌ) عُطلٌ من الحَلي جيدُها كفتها ثناياها عن اللؤلؤِ الرَّطبِ
تذكرتُها في (سورابايا) ودارُها بقريةِ (منقلي) بين (جمبر) إلى (رمبي)
رأت عربياً فاستخفَّ بها الهوى رآها فحلَّت منه بالمنزلِ الرَّحبِ
ولولا هوى حسناءَ من نسلِ يَعرُبٍ لقد ملكت عينا (مَدوريةٍ) قلبي

وقوله يصف امرأة حسناء مطلة من شرفة قصرها وعليها قميص أصفر:

وما هي إلا لفتةُ الجيدِ إذ بدت فتاةٌ حوت في الحُسنِ كُلَّ غريبِ
أطلَّت علينا من مشارفِ قصرِها فشقَّت فؤادي قبل شقِّ جيوبي
فأبدت لعيني البدرَ تحت دُجُنَّةٍ على غُصُنٍ غضٍّ يميلُ رطيبِ
ومدت من الشُّبَّاك كفاً لطيفةً زهت ببنانٍ يستبيكَ خضيبِ

وقوله في بائعة تفاح:

أعجوبةٌ ما حدثت مثلُها تفاحةٌ تبيعُ تفاحا
لا كسدت في زمنٍ سوقُها وزادها الرحمنُ أرباحا

ولعله أخذ المعنى من قول الشاعر القديم:

تفاحةٌ تأكل تفاحةً يا ليتني كنتُ الذي يوكَلُ

ومن ذلك أيضاً قصيدته التي نظمها في سنغافورة متغزلاً بفتيات (اليورش) المسيحيات وهن من سلالة البرتغاليين الذين استوطنوا هذه المنطقة، فجمعن بين جمال الشرق وجمال الغرب:

أبناتِ عُبَّادِ المسيحِ ترفُّقاً بمُتيَّمٍ في حُبِّكُنَّ مُغالي
متمسكٍ بالدِّينِ لولا دينُهُ لم يكترث في حُبِّكُنَّ بغالي
يصبو لمرآكُنَّ ثم يصدُّهُ تقوى الإلهِ فينثني في الحالِ

[1]- نسبة إلى مدورا، وهي جزيرة تقع قبالة الساحل الشمالي الشرقي لجزيرة جاوة وهي جزء من مقاطعة جاوة الشرقية، يفصل بينها وبين جزيرة جاوة مضيق ضيق هو مضيق مدورا

وبعد أن تغزل في جمالهن ما شاء له التغزل، قال في ختام القصيدة، مؤكداً على عفَّته:

خُذها إليكَ خواطراً من شاعرٍ لم تخطرِ الفحشاءُ منه ببالِ
يهوى الجمالَ ولا يرى في وصفِهِ بأساً برغمِ معاطسِ العُذَّالِ

ولعل أجمل قصائد تلك المجموعة، هي قصيدته التي بعنوان (خيال الحبيب)، وفيها تظهر إرهاصات مواهب باكثير القصصية، إذ تروي القصيدة في قالب قصصي شائق، حكاية لعلها من بنات خياله، عن فتاة دعته إلى قصرها بعد أن رأته يحوم حوله قبيل الغروب. ولندع باكثير يروى لنا القصة:

تمشَّيتُ للتَّرويحِ ذات عشيَّةٍ وتخفيفِ عبءٍ للهمومِ ثقيلِ
أسرِّحُ طرفي في رياضٍ بديعةٍ على ضِفَّتي نهرٍ هناك جميلِ
يبوحُ بأسرارِ الزُّهورِ نسيمُها يهُبُّ برَوحٍ للقلوبِ بليلِ

وبعد أن يصف الروضة، إذا به يرى قصراً جميلا:

بَصُرتُ بقصرٍ ينهبُ الجوَّ طولُهُ فسيحِ الفنا صافي الأديمِ صقيلِ

وبينما هو يتأمل جمال القصر مأخوذا به، إذا بغلام يدعوه للدخول:

فما راعني إلا غلامٌ يقول لي: تفضَّلْ علينا سيِّدي بدُخولِ
تفضَّلْ فمولاتي دعتكَ إلى القِرى فشرِّفْ قِراها سيِّدي بقَبولِ

فلما دخل القصر استقبلته فتاة جميلة:

دخلتُ فحيَّتني هنالك غادةٌ بصوتٍ رخيمٍ: طبتَ خيرَ نزيلِ

وبعد أن دعته إلى الجلوس، ودار بينهما الحديث، صرَّحت له بسبب دعوتها له قائلة:

دعوتُكَ لا من أجلِ إثمٍ يعيبُني ولكن لِحُبٍّ طاهرٍ وأصيلِ
أنا البكرُ لم يسبقْ لغيرِك حُبُّها ومِن دونِها الخُطَّابُ غير قليلِ

فتفاجأ بطلبها، وتلعثم في الرد أول الأمر، ولكنه قرر أن يصارحها بأنه قد وهب قلبه لفتاة أخرى:

فصارحتُها: لا تطلبي غيرَ مُمكنٍ فؤاديَ قد ملَّكتُهُ لِخليلِ
فلستُ بِساليهِ لأعشقَ غيرَهُ وما شئتِ يا أختي عليَّ فقولي

فما كان منها إلا أن أكبرت فيه وفاءه لمحبوبته:

فكفكفتِ الدَّمعَ الغزيرَ بِثوبِها وقالت: لأنتَ المرءُ جِدُّ نبيلِ
وفيتَ لمن تهوى وما خنتَ عهدَها فدُم ناشياً من حُبِّها بِشَمولِ[1]

ثم ودعها وانصرف، بعد أن رضيت منه بالصداقة:

فودَّعتُها من رحمةٍ وتركتُها وما لامست غيرَ العفافِ ذيولي

على أن هناك قصيدة في ديوان (أزهار الرُّبى) ولا ندري إن كانت مما قاله في إندونيسيا، أم في حضرموت. وهي قصيدة يحيي فيها القائمين على (الرابطة العلوية) وهي صحيفة أدبية كانت تصدر في سنغافورا[2]، يقول فيها:

حيِّ ساداتٍ أجلاءَ كِراما نهضوا ينحون في المجدِ الأماما
ساءَهم ما شاهدوا في قومِهم فانبروا يعدون جِداً واعتزاما
ورأوا داءَهُمُ فُرقتَهم تتغشَّى فوقَهم عاماً فعاما
وهيَ الفُرقةُ لا تأتي على أمةٍ إلا وأولتَها انصراما
فاستفاقوا من كرىً واطَّرحوا مُزمِن الإعياءِ والدَّاءِ العُقاما
وأقاموا لهُمُ رابطةً لا يخافون عليها الانفصاما
من بني هاشمٍ الغُرِّ الألى لا يرومون سوى المجدِ مَراما
من بني فاطمةَ الزَّهراءِ لن يرتضوا إلا على الشُّهبِ مُقاما

ثانياً: قصائد عدن والحجاز

نظم باكثير مسرحيته الشعرية الأولى في الحجاز أثناء إقامته فيها قادماً من عدن، وقبل توجهه إلى مصر. وكان قد اطلع في الحجاز لأول مرة على مسرحيات أحمد شوقي الشعرية، فأعجب بها، وحاول تقليدها، فنظم مسرحية شعرية أسماها (هُمام أو في عاصمة الأحقاف)، ضمنها قصته في حضرموت، متخذاً من شخصية

[1]- الشَّمول: من أسماء الخمر، والمعنى: دُم منتشياً بحبها كما ينتشي شارب الخمر بها
[2]- باكثير، علي أحمد: أزهار الرُّبى في شعر الصبا، مرجع سابق، ص 211

(هُمام) بطل المسرحية قناعاً له. وقد ذكر فيها ما لاقاه من مقاومة ومحاربة نتيجة لدعوته الإصلاحية إلى نبذ البدع، والعودة إلى منابع الدين الصافية. وقد نشر باكثير المسرحية في مصر أول قدومه إليها عام 1934م، وصدرت طبعتها الأولى عن المطبعة السلفية، بالقاهرة، ثم أعادت دار الصبان في عدن نشرها عام 1966، بعد أن غير باكثير في عنوانها قليلاً ليصبح: (هُمام أو في بلاد الأحقاف). وقد كتب باكثير مقدمة ضافية شرح فيها الحالة الاجتماعية في حضرموت، وسبب تأليفه لهذه المسرحية. وما يهمنا هنا هو أن ننقل وصفه لما حدث في إندونيسيا من خلاف بين الحضارمة هناك، والخلفية التاريخية لذلك الصراع. يقول باكثير متحدثاً عن بداية هبوب رياح التغيير على الحضارمة في المهجر الإندونيسي[1]:

"وفي غضون تلك الفترة ظهر في الحضارمة بالمهجر جماعة مستنيرون اتصلوا بالصحف العربية في مصر وسوريا وفي مقدمتها مجلة (المنار) للمصلح العلامة السيد محمد رشيد رضا وآنسوا ما تضطرب به بلاد الشرق من التحفز للنهوض والحرية، فشعروا بواجب التفكير في إصلاح أمتهم ووطنهم، فبدأوا بتأسيس الجمعيات والمدارس وإنشاء الصحف بالمهجر وكان غالبة هؤلاء من العلويين وأخذوا يشنعون على الجمود والتقاليد البالية والعادات السيئة بالوطن وبدع القبور والخرافات ونظام الطبقات الجاري هناك وجعل مناصب العلم والجاه إرثاً يرثه الأبناء عن الآباء من غير نظر إلى الجدارة والاستحقاق، وعملوا على القضاء على ذلك، وعُنوا –بوجه خاص– بما يميز العلويين بعضهم على بعض من الجاه والمنصب لأنهم رأوا أنه العقبة الكؤود في السبيل التي يسلكونها لما لأولئك المسيطرين على المناصب من النفوذ الروحي في الأمة، فرأوا أن يقضوا هلى هذا النفوذ أولاً".

إذا، فبحسب رواية باكثير، فإن أول المستنيرين الذين طالبوا بالتجديد كانوا من العلويين، وقد أثروا في غيرهم من أبناء الطبقات الأخرى التي تلي العلويين كالمشايخ والقبائل والقرويين والضعفاء، فأسسوا (جمعية الإصلاح والإرشاد) على يد الشيخ أحمد محمد السوركتي الأنصاري، "وكان قد أخذ العلم بمكة وتشبع بالمبادئ الحرة سراً بدون أن يعلم أحد بأمره، وأرسل من بعض أفاضل العلويين بمكة إلى جاوا ليتولى التعليم بمدرسة أنشئت في بيتافيا فألم بحالة الحضارمة ولاحظ فيهم ذلك الاستعداد للوثوب وقبول الدعوة الجديدة فتأسست بإرشاده (جمعية الإصلاح والإرشاد)"[2] التي امتدت فروعها في مدن المهجر وقراه.

ثم يقول باكثير: "ولما ظهرت هذه الجمعية شعر العلويون أنهم أمام خطر يتهدد نفوذهم الروحي بحضرموت ويجعلهم وغيرهم من المواطنين سواء فقاوموها بكل ما أوتوا من قوة وإذا أولئك الذين كانوا رسل الحرية

[1]- باكثير، علي أحمد: هُمام أو في عاصمة الأحقاف، المطبعة السلفية، القاهرة، 1353هـ، التوطئة

[2]- المرجع السابق، التوطئة

بالأمس يظهرون في صفوف إخوانهم المحافظين[1]". وهكذا أسس العلويون بعامل المنافسة مدارس وجمعيات كانت أكبرها (الرابطة العلوية) التي امتدت فروعها هي الأخرى في مدن المهجر وقراه.

واشتد الصراع بين الفريقين وظهر غلاة من الطرفين، كما يحكي باكثير، وخرج بعضهم عن حدود الدعوة إلى التعرض للأنساب وملء الصحف بالشتائم والسباب، وتطور الأمر إلى انتهاك الحرمات وإسالة الدماء في المساجد.

وقد تحدث باكثير في المقدمة بإنصاف عن الفريقين، وذكر أن من بين الإرشاديين غلاة يضمرون العداء لإخوانهم العلويين ولكن هذا العداء ليس ناتجاً عن كونهم من أهل البيت بل هو نتيجة اختلاف الرأي من جهة والتحزب الممقوت من جهة أخرى[2].

وقد رد باكثير في المسرحية، على لسان بطلها (هُمام)، على التهمة التي وجهت إليه بأنه (إرشادي)، حيث وجهت إلى باكثير تهمة الانتماء إلى (الإرشاديين) بسبب دعوته الإصلاحية إلى نبذ البدع والخرافات والدعوة إلى المساواة بين الناس وإلى تعليم الإناث. وفي ذلك يقول باكثير في المسرحية على لسان بطلها (هُمام)[3]:

أنا لا أعرفُ (إرشاديةً) ولا ولا (رابطةً) أو جَنَفا
إنما أعرفُ (إسلاميةً) تجمع الناس على عهد الصفا
تجعل الناسَ سواءً لا ترى فيهمُ ربًّا ولا مُستضعفا

وقد رد على الاتهامات التي وجهت إليه، وبين موقفه من الخلافات التي جرت في (جاوا) قائلاً[4]:

سؤتُمُ ظنًّا وما زلتم لِمن جاءكم بالنُّصحِ تُبدون الجفا
إنني من أعظمِ النَّاسِ لِما كان من شَغْبٍ (بجاوا) أسفا
وأراها سُبَّةً تجعلُنا في عيونِ النَّاسِ بين السُخُفا
غير أني لا أرى أعظمَ أسبابِها إلا جمودَ الشُّرُفا

---

[1]- المرجع السابق، التوطئة

[2]- المرجع السابق، التوطئة

[3]- المرجع السابق، ص 24، والجَنَفُ: الميل والجور والعدول، ومنه قوله تعالى: (فَمَنْ خافَ من مُوَصٍّ جَنَفاً)(البقرة، 182)

[4]- المرجع السابق، ص 23

وقفوا في وجهِ سيلٍ لو تولَّوهُ بالحُسنى لأروى وشفى
فطغت أمواجُهُ حتَّى لقد جرفَ الأسدادَ فيما جَرفا
حكَّموا الأهواءَ ثم انطلقوا بالأهاجي يملأون الصُّحُفا
ونسوا أن المبادئ لا تَرى نُجحَها ما لم تؤاخِ الشَّرفا

فهو يحمِّل المسؤولية لمن أسماهم (الشرفاء) ويعني بهم العلماء من آل البيت الكرام، الذين لم يستوعبوا رغبة الشباب في التطوير والتغيير ووقفوا في وجهم ولم يأخذوا بيدهم ويقوِّموا اندفاعهم بالحكمة والعقل والاستجابة لبعض مطالبهم بما لا يتعارض مع النصوص القطعية من الدين، فكان أن جرفهم التيار، وحدث ما لا تُحمد عقباه. ويؤكد أنه يتفق مع دعوة جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده[1]:

أنا لا أعرفُ إلا دعوةً (لجمالِ الدين) شقَّت غُلُفا
تندبُ الناسَ إلى دينِ الهُدى مثلما كان بعهدِ المُصطفى
لا خرافاتٌ وأوهامٌ ولا بِدعٌ تُحسبُ فيه زُلُفا
ولقد أيَّدها تلميذُهُ (عبدُهُ) فيما دعا أو ألَّفا

وأثناء إقامة باكثير في عدن وصل إلى مسامعه نبأ تأسيس المهاجرين الحضارمة في الحبشة لمدرسة عربية إسلامية ولنادٍ أسموه (نادي الاتفاق)، ففرح لذلك ونظم قصيدة يبارك فيها خطوتهم، ولم ينس أن يعرِّض بالحضارمة في المهجر الإندونيسي لافتراقهم، فجعل عنوان قصيدته، كما نشرت في مجلة الفتح القاهرية: (العرب في مهاجرهم: الاتفاق في أديس أبابا يلقي درساً على الافتراق في جاوا)[2]. ومطلعها:

على إخواننا المُتديِّرينا (أديس أبابا) سلامُ المخلصينا

ويمتدح اتفاق كلمتهم، وحسن تعاونهم، ويدعو أهل (جاوا) أن يقتدوا بهم:

---

[1]- المرجع السابق، ص 24

[2]- مجلة الفتح، القاهرة، العدد (311)، السنة السابعة، 21 جمادى الأولى 1351هـ، ص 174، وانظر: باكثير، علي أحمد: ديوان سحر عدن، تحقيق: د. محمد أبوبكر حميد، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، 1429هـ/2008م، ص 94

ألا لله درُّكمو رجالاً سعيتُم للعِلا متكاتفينا
بنادي الاتفاقِ قد اتفقتُم على إعلاءِ شأنِ المسلمينا
رحلتُم تبتغون هناك رزقاً فعُدتم تنشرون هناك دينا
رأيتُم سوءَ عاقبةِ التَّعادي فكنتُم بالإخا مستمسكينا
فهل لبني أبينا أن يروكم بأقصى الشَّرقِ هل لبني أبينا؟
لعلهمو بِكم إمَّا رأوكُم نهضتُم بالتَّآخي يقتدونا

ويذكر سبب الخلاف بين أبناء الوطن الواحد في إندونيسيا فيرى أن سببه الرئيسي هو الغرور والحسد:

قد اختلفوا وما اختلفوا لشيء سوى عصبية وقدت أتونا
وأهواءٍ بأدمغة صغارٍ تلاعبُ كالصوالجِ بالكُرينا
غرورٌ قد مشى حسدٌ إليه على علميهما يتقاتلونا
فمن خمريهما أضحوا سُكارى وفي كأسيهما احتسوا المنونا

ويعبِّر في حُرقةٍ عن أسفه وأساه لما يحدث بينهم من خلافٍ، بينما شعوب الأرض تسعى إلى ما فيه رقيُّها:

فوا أسفا شعوبُ الأرضِ ترقى وقومي بينها يتشاتمونا
إذا طالعتُ صُحفَهمُ بدت لي أفاعي الخُلفِ رافعةً قُرونا
بها الأهواءُ عاليةٌ صُراخاً وليس بها صدىً للمصلحينا

ثم يعود إلى مدح الاتفاق في الحبشة، ويطلب من أهل (جاوا) أن يتعلموا منهم:

(أديس أبابا) ألا تُلقين درساً على (جاوا) وجيرتِها مُبينا
ففيكِ بنو أبينا قد تآخوا على سُرُرِ الرِّضى مُتقابلينا

ومن المناسبات السعيدة التي سمع بها باكثير أثناء إقامته في عدن أيضاً، خبر الصلح الذي وقع بين حزبين متخاصمين من العرب في جيبوتي، وقد سعى في الصلح العالم الرباني محمد بن سالم البيحاني رحمه الله، فحيَّاه باكثير بقصيدة مطلعها[1]:

[1]- باكثير، علي أحمد: ديوان سحر عدن، مرجع سابق، ص 99

نوراً أرى ملأ الفضاءَ بريقا في الشَّاطيءِ الشَّرقي من (إفريقا)

وفيها يقول مادحاً الشيخ البيحاني:

إيهٍ (محمدُ) لا عدمتَ كفاءةً قد طوَّقتك بفخرِها تطويقا
الله يشكرُ والملائكُ بعدَهُ والنَّاسُ أجمعُ سعيَك المرموقا
يكفيك أنك بالذي حقَّقته ذكَّرتنا (الصدِّيقَ) و(الفاروقا)

ثم يمتدح اجتماع كلمة العرب في جيبوتي، بقوله:

لله درُّ عِصابةٍ من يَعرُبٍ نزعوا إلى شِيَم الجُدودِ عُروقا
تاهت على الأقطارِ (جيبوتي) بِهم فخراً وكانت بالفخارِ خَليقا
فَزِعوا إلى ظِلِّ التَّآخي بعدما صَليوا برمضاءِ الشِّقاق حَريقا
وتأكَّدوا كيدَ العدوِّ فأبرموا عهداً بتسويةِ الخِلافِ وثيقا
مالت بأعطافي بشائرُ صُلحِهم فكأنَّما لعبت به موسيقا

ولا ينس أن يعرِّج على مسألة الشقاق الواقع في إندونيسيا، فيقرَّعهم على اختلافهم وعدم مراعاتهم لحرمة المساجد ولا حرمة شهر رمضان، فيقول:

وذكرتُ إخواني (بإندونيسيا) فوقعتُ في بحرِ الهُمومِ غريقا
هم خرَّبوا بيدِ الشِّقاقِ بيوتَهم وجزوا أمومةَ (حضرموتَ) عُقوقا
يا قومُ ماذا جئتمو من سَوءةٍ قد أوقرتكُم مِ الملامِ وُسوقا
أوما رعيتُم حقَّ مسجدِ ربِّكم فأقمتو فيه المآثمَ سوقا
أأبحتمو شهرَ الصِّيامِ فثُرتُمو فيه فريقاً تقتلون فريقا
فلتُسألُنَّ لدى القيامةِ عن دمٍ في قلبِ مسجدِ (بندواسَ) هُريقا
مَن أطفأ المِصباحَ مَن شَهَرَ المُدى مَن روَّعَ المُتعبِّدين طُروقا

يشير باكثير في الأبيات السابقة إلى الاقتتال الذي حصل في أحد المساجد في رمضان، ويصف صلاح البكري هذه الحادثة بقوله[1]: "فقد اشتبك أكثر من خمسين نفساً من آل باعلوي وأتباعهم مع ستة أشخاص من الإرشاديين في مسجد النور ببندوسو في أثناء صلاة التراويح وانتهت الحادثة بإصابات الإرشاديين بجروح طفيفة وبقتل رجلين من آل باعلوي".

ثم يمتدح باكثير جمال الطبيعة في إندونيسيا، وجهود العرب الحضارمة في نشر الإسلام هناك، قبل أن يدب بينهم الخلاف:

يا حبَّذا تلك الجزائرِ إنَّها جنَّاتُ عدنٍ نُسِّقت تنسيقا
لم يُنشيءِ الباري بدائعَ وشيِها إلا إلى جنَّاتِهِ تشويقا
أثرى بها قومي وشادوا دولةً للدِّينِ طاولتِ السَّماءَ سُموقا
نشروا بها (القرآنَ) فازدادت بِهم مرأى على المرأى الأنيقِ أنيقا
لم يُلهِهِم همُّ ابتغاءِ الرِّزقِ أن يقضوا لدينِهِمِ القويمِ حُقوقا
تركوا لهم بين الأهالي حُرمةً كادوا بها أن يعبدوا المخلوقا

ويتحدث عن الخلاف الذي جرى بينهم، وأنه سنة من سنن الكون، حيث يأتي الجديد فيقاومه القديم، ولكنه يرى أن قومه قد خرجوا عن موضوع الخلاف بين الجديد والقديم وانجروا إلى معارك جانبية حيث أخذوا يطعنون في أنساب أهل البيت الكرام، ويسبون الأموات، ويتبادلون الشتائم:

أما الخِلاف فسُنَّةُ النهضاتِ إذْ تبدو وإذ يغزو الجديدُ عتيقا
لكنَّ قومي والحقائقُ مُرَّةٌ فسقوا عن النهجِ الحكيمِ فُسوقا
سبُّوا رفاتَ الميتينَ وأنكروا نسباً صريحاً بالثُّبوتِ حقيقا
وتراشقوا فُحشَ الكلامِ فأرَّقوا عينَ الحياءِ بهُجرِهِم تأريقا

ويدعو الفريقين، خاصة العلويين منهم، لأنهم أهل العلم والفضل والشرف، إلى التسامح ونبذ الخرافات والبدع:

فتسامحوا يُردَدْ عليكم حقُّكم كم أدرك المتسامحون حُقوقا

[1]- البكري، صلاح: تاريخ حضرموت السياسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1355هـ/1936م، ج2، ص 336

ثوبوا إلى هدي النَّبي وصحبِهِ تجدوه سهلاً واضحاً مطروقا
وعقيدةِ السَّلفِ النَّقيةِ إنَّها أقوى وأقومُ حُجَّةً وطريقا
وأقضوا على البِدعِ المُضلَّةِ إنَّها بِدَعٌ هوت بالمسلمين سحيقا
هي ضيَّعت أوطانَهم هي مزَّقت سُلطانَهم وكيانَهم تمزيقا
والدِّينُ دينُ اللهِ دينُ مُحمَّدٍ لا يعرفُ التابوتَ والصُّندوقا

ومن القصائد المتعلقة بإندونيسيا التي نظمها في عدن قصيدة كتبها من وحي قصيدة للشاعر محمد بن حسن بن شهاب ومطلعها[1]:

لعبت بحبَّةِ قلبِك الأهواءُ لِمن القصيدةُ تُلكُمُ الغرَّاءُ

وفيها يقول متحدثاً عن الخلاف بين الأشقاء في إندونيسيا:

هاجت بها منِّي الشُّجونُ فأسبلت منِّي الشُّؤونُ وذابت الأحشاءُ
إذ لاح لي شبحُ انقسامُ بني أبي فيها بحيثُ تمايلَ النَّعماءُ
فتمثَّلت لي صورتان فصورةٌ قيدَ العيونِ وصورةٌ نكراءُ
بينا الشُّعوبُ تَجِدُّ في نهضاتِها لعبت بقومي جهدَها البغضاءُ
شطُّوا وغالوا في الشِّقاقِ وبينَهم دينٌ ووِحدةُ موطنٍ وإخاءُ
ظلموا المبادئَ إذ أساؤوا فهمَها يا للرِّجالِ المُحسنينَ أساؤوا
إنَّ المبادئَ لا تفيدُ ثمارُها ما لم يجدها الرِّفقُ والإغضاءُ
فتصافحوا بيدِ الإخاءِ فإنَّما فوزُ العشيرِ على العشيرِ بلاءُ
وضعوا على أقدامِكم ما قد مضى ما بينَكم تِرَةٌ ولا أشلاءُ
ودعوا السِّبابَ فإنَّه عارٌ بِكم إن كان يجمُلُ بالكلابِ عُواءُ
قد آن أن تشفى الحُقودُ وتنتهي سِنةُ الرُّقودِ وتُنبذُ الأهواءُ
فإلى متى تبقون في حالٍ لها يبكي الحليمُ وتضحكُ السُّفهاءُ

[1]- باكثير، علي أحمد: ديوان سحر عدن، مرجع سابق، ص 119

ومن قصائد عدن المتصلة بإندونيسيا قصيدة يحيي بها الأديب طه بن أبي بكر السقاف محرر صحيفة (النهضة الحضرمية) التي كانت تصدر في سنغافورا، وفيها يقول مادحاً صحيفته ومعرضاً بصحف المهجر الإندونيسي[1]:

هذي صحيفتُهُ تُمثِّلُ روحَهُ خَلَلَ السُّطورِ كأنَّهُ مشهودُ
تدعُ التَّعصُّبَ جانباً فتجيئَنا بيضاءَ إذ صُحُفُ المَهاجِرِ سودُ
بُليت بأقذارِ الشَّتائِمِ ثُلَّةٌ منها وأخرى شأنُها التَّقليدُ

ويخاطب بني قومه في إندونيسيا ويدعوهم إلى العودة إلى منابع الدين ونبذ التقاليد العتيقة:

أبني أبى إنَّ الشِّقاقَ مذلَّةٌ والدينُ نُصحٌ والإلهُ شهيدُ
ثوبوا إلى القرآنِ لا يَصدُدكُمو عنهُ جُحودٌ أو هوىً وجُمودُ
وذروا التقاليدَ العتيقةَ إنَّها عِبءٌ على المُتنوِّرين عتيدُ
لا تُنكروا التَّجديدَ في عاداتِكم فالعصرُ مِن آياتِهِ التَّجديدُ

ثالثا: قصائد مصر

القسم الثالث وهي قصائده التي نظمها في مصر، ومعظمها في الترحيب أو الرثاء لمفكرين وثوار من إندونيسيا قدموا إلى مصر، فحياهم باكثير ورثاهم عند موتهم، وأثنى على جهادهم في سبيل استقلال بلادهم. بالإضافة الى القصائد والأناشيد التي كتبها ابتهاجاً باستقلال إندونيسيا، ومنها ترجمته للنشيد الوطني الإندونيسي إلى العربية.

وقد ذكر الدكتور أحمد السومحي أنه اطلع على قصيدتين في مجلة (الفتح) بتوقيع (طالب حضرمي) لم يعثر عليهما في شعره المخطوط ويرجح أنهما لباكثير لتشابه أسلوبهما مع أسلوب باكثير، ولأنه لم يكن في مصر آنذاك طالب حضرمي نابه غيره[2]. ولم يذكر السومحي عنوان القصيدتين ولا رقم العدد الذي نشرتا فيه. وقد

[1]- المرجع السابق، ص 127

[2]– السومحي، أحمد عبد الله: علي أحمد باكثير حياته وشعره الوطني والإسلامي، مرجع سابق، ص 111

عثرت على قصيدة واحدة في مجلة الفتح بتوقيع (طالب حضرمي) وهي بعنوان: (نداء العروبة والدين، إلى بني قومي مواليد عرب إندونيسيا)[1]، ومطلعها:

هبَّـتْ بشـائرُ مجـدٍ مـن مغانينـا فـأتْرِعي يـا سـعادُ الكـأسَ واسـقينا
هبَّـتْ وقـد كنـتُ منهـا يائِسـاً قَنِطـا يـأسَ المُبـرِّحِ مـن لقيـاك لـي حينـا
صـحا بنـو قومِنـا مـن طـولِ رقـدتِهم وصَـحْوُهُمْ يـا حبيـبَ القلـبِ يُنشـينا
فـلا تلـومي إذا مـا طِـرْتُ مـن طـربٍ فـالقوم قـومي ووادي القـوم وادينـا

ويبين سبب فرحه وسروره بأن ذلك لأن بني قومه قد تصالحوا واتفقوا بعد خصام دام عشرين عاماً:

مـالوا إلـى الصُّـلحِ لـم يُلقـوا لشـانِئِهم سـمعاً كمـا لـم نعـر أذنـاً للاحينـا
وقطَّعـوا ألسـنَ الواشـين أجمعَهـا كمـا ضـربنا بإرجافـاتِ واشـينا
فأصـبحوا عُصـبةً فـي الـدين واحـدةً وفـي العروبـة إخوانـاً ميامينـا
وأقبلـوا نحـو حبـلِ الـدين جـامِعِهِمْ يُحيونـه بعـد أن خلَّـوه عشـرينا

ثم يخاطب بني قومه الذين اتحدوا ويوصيهم بإقامة المدارس ونشر العلم:

يـا فتيـةً وحَّـدُوا فـي المجـد وُجْهَـتَهمُ وحـارَبُوا الخُلْـفَ لا يُولُونَـه لينـا
وركَّـزُوا رايـةَ الإصـلاحِ خافقـةً وأحـدقوا حولهـا شُـعثاً مُلبِّينـا
سيروا إلـى النَّصـرِ لا تلـووا ولا تهِنـوا وامضـوا بمبـدئِكم داعـين هادينـا
وأيقظـوا شـعبَكم واجـروا بهـم قِـدماً واعلـوا بهـم فـوق هـام الـنَّجمِ تمـدينا
واقضوا على الجهلِ بالتَّعليمِ واقتطفوا مـن المعـارفِ والعلـمِ الرَّياحينـا
وابنـوا المـدارسَ فـي أنحـاءِ مهجـرِكِم تُنـتِجْ لكـم فتيـةً بـالعلمِ شـاكينا[2]
واسترشـدوا بكتـابِ اللهِ واتَّخـذوا مـن حُكْمِـهِ –إن تنـازعتم– موازينـا

والصنف الآخر من قصائد باكثير عن إندونيسيا التي كتبها في مصر، هو في تحية الزعماء الإندونيسيين الذين يمرون بمصر. فمن الزعماء الإندونيسيين الذين حياهم باكثير أثناء زيارتهم لمصر، الدكتور سوتومو،

[1]– مجلة الفتح، القاهرة، العدد (621)، العام (13)، بتاريخ 5 شعبان1357هـ، ص 22، وهناك قصيدة أخرى بعنوان (ماذا في عسير) نشرت في العدد (327)، العام (7)، بتاريخ: 15 رمضان 1351هـ، ص 3، بتوقيع (الشاعر اليماني)، ولعلها التي يعنيها الدكتور السومحي.

[2]- شاكينا: متسلحين

وقد ألقى باكثير هذه القصيدة في حفل التكريم الذي أقيم للزعيم الإندونيسي الكبير بدار الشبان المسلمين بالقاهرة، ونشرتها مجلة (الفتح)[1]، ومطلعها:

يـا زعـيمَ الشـرقِ القَصـيِّ سـلاماً اِلْـقَ أهـلاً وطِـبْ بمصـرَ مَقَامـا

وفيها يقول مخاطباً الزعيم الكبير:

يـا زعـيمَ الإسـلامِ فـي إندونيسـيا عِـشْ زعيمـاً ولِيَحْـيَ شـعبُك شَـعْبا
إنَّ (جمعِيَّـة الشـبابِ) رأَتْ فيـ ـك هُمامـاً بكـلِ فضـلٍ جـديرا
كرَّمَـتْ فيـكَ مسـلماً عـرفَ الإسـ ـلامُ فيـهِ شَـهْما عليـهِ غَيـورا
فأعِنْهـا علـى مقاصـدِها العظـ ـمى وأوجِـدْ لهـا هنـاكَ نصـيرا
وتقبَّـلْ تحيـةً مـن مُحـبٍّ زفّ أبياتَـهُ إليـكَ شُـعورا

ويتحدث عن الطلاب الإندونيسيين في مصر قائلاً:

يـا زعـيمَ الشَّـبابِ فـي إندونيسـيا حـيِّ مـن وُلْـدك الشَّـبابَ الفتيَّـا
يتلقـى الآدابَ فـي مصـرَ والعِلْـ ـمَ ويـروي لسـانَها العَرَبيَّـا
قَـرَّ عينـاً بهـم فسـوفَ يُشِـعُّو نَ علـى قومِهِـم هَـدْياً ورُقِيَّـا
يـا عبيـراً بثَّتْـه أزهـارُ جـاوا فُـحْ علـى مِصْـرَ مُسْـتطابا شـذيّا

ثم يخاطب إندونيسيا مبشراً لها بقرب الاستقلال، فيقول:

يـا رياضـاً قـد نمقَّتْـها يـدُ اللـ ـهِ لِتَغْـدو نموذجـاً للجِنـانِ
ضـاءَ فيهـا نـورُ الهدايـةِ فـازْدا نَـتْ بـهِ فـوقَ حُسْـنها الفتَّـانِ
سـتَحُلِّينَ عَـنْ معاصِـمِكِ القَيْـ ـدَ بأيـدي أبنائِـكِ الشُّجْـعانِ
أنـتِ حسـناءُ فـي القيـودِ فمـا تغـ ـدين لـو كنـتِ حُـرَّةً فـي الزمـانِ؟!

وعندما توفى الدكتور ستومو رثاه باكثير بقصيدة تفيض حزناً وأسى، ألقاها في في حفلة التأبين التي أقيمت في دار جمعية الهداية الإسلامية، ونشرتها مجلة الفتح[2]، ومطلعها:

[1]- مجلة الفتح، القاهرة، العدد (514) العام (11)، بتاريخ 24 جمادى الآخرة 1355هـ، ص 322-323
[2]- مجلة الفتح، القاهرة، العدد (611) العام (13)، بتاريخ 23 جمادى الأولى 1357هـ، ص ص 272-273

يَمْضـــي النُّعـــاةُ ويَخْلُـــدُ البَطَـــلُ فَـــاكْفُفْ دُمُوعَـــكَ أيُّهـــا الرجـــلُ

إن الـــــذي تَبْكِـــــي لِرِحْلَتِـــــهِ لَهُـــوَ المُقـــيمُ وأنـــتَ مُرْتَحِـــلُ

وفيها يقول متحدثاً عن جهاد الراحل الكبير:

كَـــمْ دافـــعَ الأعـــداءَ عـــن وطـــنٍ للـــــدين فيـــــه مَرْبـــــعٌ خَضِـــــلُ

شَـــبَّ الجهـــادُ بـــه علـــى يـــدِهِ ورَعـــــاهُ حتـــــى كـــــادَ يَكْتَهِـــــلُ

ثـــاروا علـــى الغُصَّـــاب مَـــا اكْتَرَثـــوا بـــــالنَّفيِ والتَّشـــــريدِ أو وَجِلُـــــوا

فـــي خدمـــةِ الأوطـــانِ لـــذَّ لَهُـــمْ مُـــرُّ العـــذابِ كأنَّـــهُ العَسَـــلُ

رَامُـــوا الحيـــاةَ لِقَـــومِهِمْ فَـــرَأَوا أنَّ المنَايَـــــا سُـــــبْلُها الـــــذُّلُلُ

مـــا حيلـــةُ الغُصَّـــابِ فـــي غُيُـــرٍ أوذُوا فمـــــا ذلُّـــــوا ولا فَشِـــــلُوا

ويُعزِّي فيه إخوانَه الإندونيسيين قائلاً:

إِخْوانَنَـــــا بالشَّـــــرْقِ، تعزيـــــةً خَطْـــبُ الجميـــعِ بِمَيْـــتِكُمْ جَلَـــلُ

مـــا عَـــنْ فَقِيدكُـــمُ لنـــا عِـــوَضٌ يُرجـــى ولـــيسَ لكُـــمْ بـــه بَـــدَلُ

إن نَرْثِـــــهِ فَلِسَانُنَـــــا حَصـــــرٌ عَـــنْ فَضْلِـــهِ، وبيانُنَـــا وَشِـــلُ[1]

لَكِـــــنْ تُعـــــزِّينا حَمِيَّـــــتُهُ فيكـــــم، وروحٌ منـــــه مَتَّصِـــــلُ

وجهـــــادُهُ الأسْـــــمَى وسِـــــيْرتُه تَنْـــدَى بهـــا الأســـحارُ والأُصُـــلُ

لابـــد مـــن يـــومٍ تُفَـــكُ بـــه هـــذي القيـــودُ، وتُقْطَـــعُ الشُّـــكُلُ[2]

ومن الزعماء الإندونيسيين الذين حياهم باكثير، الدكتور محمد حتا وألقاها في الحفلة التي أقيمت في القاهرة تكريما لفخامته عند زيارته مصر سنة 1949م، عائداً من هولندا، بعد انتهاء مؤتمر المائدة المستديرة، ونشرت في مجلة الشؤون الإندونيسية بجاكرتا، عدد يونيو 1952م؛ ومطلعها[3]:

بِـــلادُكَ يـــا «حَتَّـــا» جِنَـــانٌ وأنهـــارُ وقومُـــك يـــا «حَتَّـــا» مغـــاويرُ أحـــرارُ

---

[1]- الوشل: الماء القليل

[2]- الشُّكُل: القيود

[3]- مجلة الشؤون الإندونيسية، جاكرتا، عدد يونيو 1952م

تـــآلوا لَيَـــبْغُنَّ الحيـــاةَ كريمـــةً وإلَّا فـــإنَّ المـــوتَ للـــذلِّ ســـتَّارُ
وصـاحوا جميعاً «مِرديكـا» فتجاوبـت بِذِي الصيحةِ الكُبْرَى نُجودٌ وأغوارُ[1]

وفيها يتحدث عن أطماع الغرب في إندونيسيا، إلى أن ثار أهلها:

لقد طَمِع الباغون في خِصْبِ أَرْضِها وغـــرَّهمُ منهـــا نعـــيمٌ وإيســـارُ
وطـــال لهـــم فيهـــا مُقـــامٌ فـــأيقنوا بـــــأنَّهمُ بـــــاقون والـــــدَّهرُ دَوَّارُ
نســوا أنَّهــا أرضُ البــراكين إن تَهِــجْ فلــيس لهــم واقٍ ولــيس لهــم جــارُ
إلــى أن أتــى الأمـرُ الإلهـي فَالْتَظَـتْ يُؤجِّجُهـا مـن غضـبة الله إعْصَـارُ
فأضـحَتْ (هولنـدا) بـين يـومٍ وليلـةٍ كأســطورةٍ لــم يروهــا بعــد سُــمَّارُ
قضـــى الله إندونيســـيا اليـــومَ حُـــرَّةً أقـــرَّ بهـــا المخـــذولُ أمْ منـــه إنكـــارُ
إذا آمـــنَ الشَّـــعبُ الأبـــيُّ بِحَقِّـــهِ فلـــيسَ لـــه فـــوقَ البســـيطةِ قَهَّـــارُ
علـى الطـائرِ الميمـونِ يـا خيـرَ قـادِمٍ مـن الغربِ نحـو الشـرقِ تَحْدُوه أنـوارُ

ويحيي الزعيم الإندونيسي باسم مصر كلها:

تُحَيِّـــكَ يـــا «حَتَّـــا» الكنانـــةُ كلُّهـــا ويرعـــاكَ حُـــبٌّ مـــن بنيهـــا وإكْبَـــارُ
ومصـــرُ تُحِـــبُّ البـــاذلين نُفوسَـــهم لأوطـــانِهم مهمـــا تنـــاءَتْ بهـــم دارُ
ســلاماً فتــى الأحــرارِ مِـنْ إنْدُونِيســيا جهـــادُك مشـــكورٌ وفضـــلكُ سَـــيَّارُ
ووجهُـك نبـراسٌ مـن الحـقِ تَهْتَـدِي قلـــوبٌ بـــه للحـــائرين وأبصَـــارُ

وقد ترجم باكثير النشيد الوطني الإندونيسي الذي وضعه الأستاذ سوبراتمان، ترجمه باكثير شعراً عن الإندونيسية ونشره في نهاية مسرحيته التي كتبها عن استقلال إندونيسيا وهي بعنوان (عودة الفردوس). ومطلع النشيد:

إندونيســـــيا مَحَـــــطُّ رأســـــي بحيـــــــــاتي أفـــــــــديها
هـــي أمـــي ، فســـوف أبقـــى دون أمـــــــــي أحميهـــــــا

***

[1]- مِرديكا: كلمة إندونيسية تعني «الاستقلال»

إندونيســـــيا بـــــلاد قـــــومي زادهـــــا الـــــرَّحمنُ عِـــــزّا

هيَّـــــا نهتـــــفْ: إندونيســـــيا وحـــــــــــدةٌ لا تتجـــــــــــزّا

فلـــــــــــيعش منبتـــــــــــي ولـــــــــــتعش دولتـــــــــــي

ولتعش أمتي جميعا

عـــــــــــزَّ بنيانُهـــــــــــا عـــــــــــزَّ ســـــــــــلطانُها

إندونيسيا الكبرى لنا

إندونيسيا في مسرح باكثير

أشرنا إلى أن باكثير قد كتب مسرحية نثرية طويلة عن استقلال إندونيسيا عام 1946 بعنوان (عودة الفردوس). وقد برهن باكثير من خلال هذه المسرحية على أنه كان يحيط بأدق تفاصيل ما يجري في إندونيسيا من أحداث وكأنه يعيش فيها، مما يدل على تتبعه لأخبارها، واهتمامه بما يجري على أرضها من أحداث. واللافت للنظر، كما سنرى من خلال دراسة المسرحية، أن باكثير لم يهتم فيها بتسجيل الأحداث التاريخية كما جرت على أرض الواقع، وإنما سجلها من خلال وجهة نظره، وسعة خياله، على النحو الذي ينبغي أن تكون عليه. وسنفصل الحديث عن ذلك في موضعه من هذه الدراسة.

ملخص لأحداث المسرحية:

تتكون المسرحية من أربعة فصول، وأبطالها ينقسمون إلى شخصيات حقيقية وأخرى خيالية. الشخصيات الحقيقية هي: الزعيم سوتان شاهرير، والزعيم أحمد سوكرنو (يُسمع صوتُه في آخر فصل ولا يظهر على المسرح)، والدكتور محمد حتا، ويظهر على المسرح ولكنه لا يتكلم. أما الشخصيات الخيالية فهم: سليمان (من أتباع الزعيم شاهرير)، وماجد (من أتباع الزعيم سوكرنو) بالإضافة إلى أسرتيهما، وشخصيات أخرى ثانوية.

الفصل الأول تدور أحداثه في وكر من أوكار المقاومة الوطنية السرية بإحدى القرى القريبة من (بتافيا) عاصمة جاوة. وفي هذا الفصل نتعرف على شيء من عمل أفراد المقاومة الوطنية الذين كانوا يقاومون الاحتلال الياباني مقاومة مسلحة وزعيمهم سوتان شاهرير، ونعرف أن خطيبة سليمان وأخاها هم من(التعاونيين) أتباع الزعيم سوكرنو الذين يتعاونون مع الاحتلال الياباني، ويرفضون المقاومة المسلحة. وفيه يأسر المقاومون ضابطين هولنديين ألجأهما الهرب من اليابانيين إلى وكر المقاومة فاستسلما للثوار، ثم أسر الثوار الضابطين اليابانيين الذين كانا يتعقبانهما. وينتهي الفصل بتآمر الأسرى اليابانيين والهولنديين لمحاولة الهرب، بعد أن يتضح أن أحد الضباط الهولنديين هو من النازيين المتعاونين مع اليابانيين، وأن المطاردة بينهم كانت حيلة ليعرفوا وكر المقاومة فينقضوا عليه، ولكن الثوار كانوا لهم بالمرصاد فأفشلوا خطتهم كما أفشلوا محاولتهم للهرب.

الفصل الثاني تدور أحداثه في منزل الحاج عبد الكريم بميدان جامبير في بتافيا عاصمة جاوة. وفيه نتعرف إلى الحاج عبد الكريم والد سليمان وزوجته حميدة وابنتهما عائشة، وهم يتأهبون لاستقبال ماجد خطيب عائشة وشقيق زينة خطيبة سليمان. ونفهم من الحوار الدائر بين الحاج عبد الكريم وزوجته قبل وصول ماجد أنه يرغب في تعجيل زواجه من عائشة ولكن أخاها سليمان يرفض لأن ماجداً من أتباع الزعيم سوكرنو بينما سليمان من أتباع المقاومة المسلحة. كما أن سليمان غير راض عن التحاق خطيبته زينة بالمتطوعات للتمريض في مستشفيات اليابانيين. وقبل مجيء ماجد يصل سليمان متنكراً في زي رجل مسن بلحية مستعارة. ثم يصل ماجد، ويدور بينه وبين سليمان جدال على مائدة الطعام كل منهما يؤيد وجهة نظر فريقه ويسفه رأي الفريق الآخر.

الفصل الثالث تدور أحداثه في الوكر. ونرى سليمان وزوجته وهي تغير له جرحاً أصابه، ونعرف من حوارهما أن رئيس الوكر عز الدين قد وقع في أسر اليابانيين وأن سليمان هو رئيس الوكر. ثم يأتي ماجد رسولاً من الزعيم سوكارنو إلى شاهرير زعيم الثوار، ويخبره أن الزعيم سوكرنو يرجو منهم أن يكفوا من أعمال الثورة ريثما يعلن تسليم اليابان رسمياً.

الفصل الرابع تدور أحداثه في منزل الحاج عبد الكريم. الساعة السابعة من صباح يوم 17 أغسطس سنة 1945. ويبدأ المشهد بحوار بين الخادمة أوتيه وسيدتها حميدة، حيث تتساءل الخادمة عن سبب وجود الجنود اليابانيين والمتاريس في الميدان المقابل لمنزلهم، فتخبرها حميدة أنه المؤتمر الذي سيقيمه الوطنيون اليوم، وأن الجنود اليابانيين جاءوا لمنع عقد المؤتمر. ثم تأتي جارتهم العجوز أم حمزة لتزورهم وتخبرهم أنها قررت أن تفجر نفسها بقنبلة تحملها في حزامها في دبابة من دبابات اليابانيين لتلحق بابنها الشهيد الذي قتله اليابانيون. ثم تأتي زينة زوجة سليمان متنكرة وبيدها مسدس. ثم تسمع أصوات الجموع وهي تهتف بالتكبير تعقبها أصوات إطلاق النار. وتنظر زينة من الشباك فترى أم حمزة وهي تتقدم منطلقة نحو الدبابات ثم تفجر نفسها بينهن. ثم ترى زينة الجموع الوطنية تهجم على الميدان والجنود اليابانيون يفرون منه.

ثم تصف زينة ما تشاهده حيث ينصب مكبر الصوت على المنصة ويتقدم الزعيم شاهرير ليخطب في الجموع، حيث يعلن افتتاح المؤتمر، وأثناء ذلك يحضر سوكرنو محمولاً على أعناق الرجال. ويخطب سوكرنو ويعلن استقلال إندونيسيا، وتختاره الجماهير رئيساً للبلاد. ويتصافى سليمان وماجد ويسدل الستار.

ملاحظات على المسرحية

الملاحظة الأولى التي يخرج بها قارئ المسرحية هي أن باكثير كان يلم بأدق تفاصيل ما يجري في إندونيسيا. وقد تتبعت الباحثة الدكتورة رحمة بنت أحمد الحاج عثمان[1]، الأحداث التاريخية الواردة في المسرحية، وذلك بالمقارنة مع ما ورد في كتاب عن تاريخ إندونيسيا المعاصر[2]، فخلصت إلى أن باكثير قد نقل لنا أحداث استقلال اندونيسيا بكل دقة وأمانه وسجل عنها كل صغيرة وكبيرة والتقط لها كل شاردة وواردة[3].

الملاحظة الأخرى هي أن باكثير قد أسقط حبه لإندونيسيا وتشوقه إليها من خلال أبطال مسرحيته. على نحو ما فعل في مطلع الفصل الأول حيث جعل (سليمان) وهو شاب من شباب المقاومة يترنم بأبيات حزينة مطلعها:

متى يئوب الطيرْ يوماً إلى وكره
ولا يجور الغيرْ فيه على أمره؟

وكأن باكثير بهذه الأبيات التي هي من نظمه، إنما يتحدث عن نفسه وعن شوقه هو إلى وكره (إندونيسيا)، وكأنه يعنى نفسه بالطير المهاجر حيث هاجر من إندونيسيا إلى حضرموت ثم استقر في مصر.

الملاحظة الأخرى هي أن باكثير، وإن كان قد كتب المسرحية إبان الاحتلال الياباني لإندونيسيا، وجعل زمانها (من أوائل سنة 1942 إلى يوم 17 أغسطس سنة 1945)، إلا أنه تعرض فيها للاحتلال الهولندي

---

[1]- الحاج عثمان، رحمة بنت أحمد، وسامي، عبد الغفار: نافذة على تاريخ إندونيسيا من خلال مسرحية "عودة الفردوس" لعلي أحمد باكثير، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للغة العربية بماليزيا: إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، نوفمبر 2007، متوفر في موقع الأديب باكثير على هذا الرابط: http://bakatheer.com/moltaqa_details.php?id=526 (2017/10/16).

[2]- هو كتاب: صفحات من تاريخ إندونيسيا المعاصر، تأليف: محمد أسد شهاب، أنظر المرجع السابق، ص 3

[3]- المرجع السابق، ص 5

السابق للاحتلال الياباني، وذكر فضائعه وجرائمه في حق الشعب الإندونيسي. وقد لجأ باكثير إلى حيلة فنية وهي أنه جعل الثوار الإندونيسيين يقبضون على ضابطين هولنديين لجآ إلى وكر المقاومة هرباً من اليابانيين، كما زعموا، ولكن اتضح في نهاية الأمر أنهم كانوا متفقين مع اليابانيين لإرشادهم إلى وكر المقاومة، ولكن الثوار كشفوا أمرهم، وأسروا الضابطين اليابانيين الذين كانا يتعقبانهما.

وقد استطاع باكثير بهذه الحيلة الفنية أن يشمل في مسرحيته فترة احتلال الهولنديين لإندونيسيا وهي فترة سابقة لزمن المسرحية، من خلال جلسة التحقيق التي عقدها رئيس الوكر عز الدين بحضور سليمان للضابطين الهولنديين، حيث استعرض في هذا الحوار جرائم الهولنديين ضد الإندونيسيين خلال فترة احتلالهم. وقد استغرق هذا الحوار اثنا عشرة صفحة من المسرحية، وأدى إلى إبطاء حركتها، وإن كان باكثير قد حاول تلطيف جفاف الحوار بمواقف كوميدية من تصرفات الضابطين الهولنديين.

وفي هذا الحوار نتعرف على كثير من سياسة هولندا ضد الإندونيسيين إبان فترة احتلالها لهم، فقد استغلت ثروات البلد واستعبدت شعبها وجعلتهم خدماً لها. وذكر تنكيلهم بالثوار والزج بهم في السجون ونفيهم إلى غينيا وغيرها من الجزر النائية[1]. وقد رد باكثير على لسان عز الدين على كثير من دعوى الهولنديين أنهم جاءوا لتمدين الشعب الإندونيسي ونشر العلم فيه، فهم قد استخدموا الإندونيسيين في منشآتهم الزراعية والصناعية بأجور لا تكاد تشبع جوعهم وفي ظروف عمل قاسية. كما رد على زعمهم أن إندونيسيا فقيرة بقوله إن أرضها أخصب أرض في الدنيا[2]. ويرد على زعمهم أنهم نقلوا الحضارة للشعب الإندونيسي بقوله: "إن التاريخ ليشهد بأن هذه البلاد قد عرفت الحضارة قديماً قبل أن تعرفها هولندا، بل قبل أن يكون لهولندا وجود في التاريخ. وإن في معبد بوروبودور وغيره مما أبقى عليه الدهر من آثار أجدادنا لبرهانا حياً ينطق بهذه الحقيقة"[3]. كما رد على زعمهم بنشر التعليم أنهم لم ينشروا إلا "تعليم القشور لتخريج آلات صماء من الشبان يديرون لكم مصالحكم ويكونون عوناً لكم على أمتهم وبلادهم يدرسون حشداً من اللغات الأجنبية

---

[1]- باكثير، علي أحمد: مسرحية عودة الفردوس، مكتبة مصر، د. ت، ص 21

[2]- المرجع السابق، ص 22

[3]- المرجع السابق، ص 23

المتعددة ولا يتقنون منها شيئاً، إذ يشغلهم حفظ مفرداتها الكثيرة المختلفة عن لباب التربية الصحيحة والعلم النافع"[1].

ويرد على زعمهم بتسامحهم الديني، أنهم كانوا يضمِّنون مادة التاريخ كلمات في الطعن على نبي الإسلام الكريم. كما يشير إلى محاربتهم للإسلام بنشر مدارس التبشير في كل مكان ليفتنوا أهل إندونيسيا عن دينهم بوسائل الترغيب والترهيب، وتفضيلهم الأمبونيين المرتدين وإيثارهم على غيرهم بالمناصب والمصالح[2]. كل هذا يدل على اطلاع باكثير على تفاصيل مخازي الهولنديين في إندونيسيا.

ومن خلال هذا الحوار الطويل استطاع باكثير أن يستعرض فترة الاحتلال الهولندي لإندونيسيا السابق لزمن المسرحية. كما استطاع أيضاً من خلال التحقيق مع الضابطين اليابانيين أن يستعرض مخازي الاستعمار الياباني لإندونيسيا ويرد على مزاعمهم وشبهاتهم. فمن ذلك زعمهم أنهم جاؤوا لتحرير إندونيسيا من نير الغربيين الذين استعبدوهم لأكثر من ثلاثمائة سنة، يرد عليه عز الدين بقوله: "ولكنا لا نرضى أبداً أن نستبدل بالاستعمار الغربي استعماراً شرقياً"[3]. كما يرد على زعمهم بأنهم ما جاؤوا لاحتلال إندونيسيا بقوله: "كيف تتفق دعواكم هذه مع تصرفاتكم التي ترمي إلى تيبين هذه البلاد. فقد أبدلتم بأسماء المدن أسماء يابانية، وفرضتم علينا تعلم اللغة اليابانية ولما يمض شهران على بدء نزولكم"[4]. وحين يدل عليهم الياباني بالحكومة الوطنية التي أنشأها اليابانيون برئاسة الدكتور سوكرنو، يرد عليه عز الدين قائلاً:

"لا ريب أن الدكتور سوكرنو هو من خير رجالنا ولا نشك في وطنيته، ولكننا لا نرضى تصرفه ولا نؤيده ولا نعترف بحكومته. ولئن كان له عذر في قبوله هذا الوضع فعذره أنه يحاول تخفيف وطأتكم الاستبدادية على أهالي البلاد حتى لا تبيدوهم بعسفكم وتوحشكم. أما السلطة الشرعية ففي أيدينا نحن المدافعين عن سيادة بلادنا هذه ضدكم وضد

---

[1]- المرجع السابق، ص 25

[2]- المرجع السابق، ص 26

[3]- المرجع السابق، ص 38

[4]- المرجع السابق، ص 39

الهولنديين على السواء وسنظل نقاومكم ونقاوم الحكومة الوطنية التي افتعلتموها حتى يجيء اليوم الذي تخرجون فيه من بلادنا سواء بأيدينا أو بأيدي غيرنا"[1].

وحين شنع الياباني على "الميثاق الكاذب الذي أعلنه دجاجلة أوروبا وأمريكا وأسموه ميثاق الأطلنطي ليخدعوا به الشعوب الصغيرة في العالم حتى تخف إلى نصرتهم ونجدتهم فتضع بذلك أغلال العبودية في أعناقها بعد أن يطلقوا على هذه الأغلال اسم المبادئ الديموقراطية"، يرد عليه عز الدين قائلاً:

"كلا إننا قد بنينا سياستنا على ألا نؤمن إلا بأنفسنا ولا ننخدع بمبدأ يمليه علينا غيرنا أو ميثاق. إنكم تنادون بمبدأ آسيا للآسيويين وقد تبين لنا كذبكم وخداعكم، وينادي خصومكم بميثاق الأطلنطي وسنرى أيصدقون أم يكذبون. وعلينا أن نحتفظ بقوتنا المعنوية وروحنا الوطنية وجمعياتنا السرية لمقاومة الدخلاء حتى ينقضي هذا الصراع بينكم وبين خصومكم. ويومئذ نقوم قومتنا الكبرى فتعصف بالكاذبين ونتعاون مع الصادقين على ما يضمن السلام العالمي، ويرضي كرامتنا القومية، ويعيد إلينا اعتبارنا الديني. فلسنا اليوم في الحقيقة مسلمين إلا بالاسم، لأن الإسلام لا يرضى منا الخضوع لدولة أجنبية عنا سواء أكانت غربية نصرانية أو شرقية وثنية[2].

ومن المناسب هنا أن نذكر أن باكثير كان قد صدَّر مسرحيته بهذا النذير: "نذير من الذين آمنوا بميثاق الأطلنطي ولم يكتبوه إلى: الذين كتبوه ولم يؤمنوا به".

الملاحظة الأخرى، هي دفاع باكثير عن وجهتي النظر للشعب الإندونيسي تجاه الاستعمار، حيث انقسموا إلى فريقين: فريق يرى أن المقاومة المسلحة هي السبيل لنيل الحرية والاستقلال، ويتزعمهم الزعيم شاهرير، ويمثلهم في المسرحية (سلمان) و(عز الدين)، وفريق يرى أن المقاومة السلمية والتعاون مع الاحتلال الياباني هما السبيل لنيل الحرية والاستقلال، ويتزعمهم الدكتور أحمد سوكرنو، ويمثلهم في المسرحية (ماجد). وقد جعل باكثير ماجداً وسليمان أصدقاء، وكل منهما خطيب لأخت الآخر. وأدار بينهما حواراً في الفصل الثاني من المسرحية، على مائدة الطعام في منزل والد ماجد، وجعل كلاً منهما يورد الحجج التي تؤيد وجهة نظر فريقه وتسفه رأي الفريق الآخر. وقد أجاد باكثير في صياغة الحوار حيث أتاح الحرية لكل منهما أن يسرد الحجج المؤيدة لموقفه، حتى أن القارئ –أو المشاهد في حالة تمثيل المسرحية– لا يدري أين يقف إذ كل

[1]- المرجع السابق، ص 40

[2]- المرجع السابق، ص ص 40–41

فريق لديه من الحجج المقنعة المؤيدة لوجهة نظره. وقد أشادت د. رحمة ببراعة باكثير في إجراء هذا الحوار، قائلة:

"والملاحظ فيما سبق من حوار بين البطلين هو تكافؤ شخصيتيهما في القوة والتصميم فكلاهما صعب المراس ولا يسلم للآخر بسهوله، ولعل هذا ما أطال حوارهما إذ هما في حاجة إلى إبطال الدليل بالدليل وإقامة الحجة على الحجة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اهتمام باكثير في بناء الحوار أو قل على براعة باكثير في إجراء الحوار"[1].

ومن أمثلة ما ورد في ذلك الحوار قول ماجد، مدافعاً عن وجهة نظر المتعاونين مع الاحتلال:

"إن التعاون مع الاحتلال لا يعني تأييده، بل الهدف منه الخروج ببعض المكاسب للشعب الإندونيسي، وقد استطاع الزعيم سوكرنو والدكتور محمد حتا إقامة حكومة وطنية تدير شؤون الإندونيسيين، وتستخلص ما يمكن استخلاصه من حقوق الشعب التي اغتصبها المحتل بالقوة"[2].

ولكن سليمان يرد بأن هذه الحقوق المستخلصة هي حقوق تافهة مقارنة بما يتيحه ذلك للمحتل من تثبيت أقدامه في البلاد[3]. ويستمر الجدال بين الرجلين وتفشل محاولات (حميدة) أم سليمان في صرفهما عنه بما تقدمه لهما من صنوف الطعام. ويرى سليمان أنها حجج واهية لتبرير تبوأهم المناصب الرفيعة وتمتعهم بالعيش الرغيد بينما يشقى المجاهدون في الأقبية والأوكار يتبلغون بالطعام القليل ويتعرضون للحديد والنار[4]، بينما يرى ماجد أن جهاد الزعيم سوكرنو أشق من جهاد الثوار الذين ينحصر عملهم في خطف الجنود اليابانيين وتدمير منشاتهم العسكرية والمدنية بدون تفكير فيما تؤدي إليه هذه الأعمال الإرهابية من الإضرار بمصالح السكان الأبرياء وتعريض ألوف منهم للانتقام الياباني الفضيع، وأنه لولا جهود سوكرنو وتدخله للعفو عن مرتكبي بعض هذه الأحداث مما عرضه في كثير من الأحيان لسخط اليابانيين، لولا ذلك لكانت الحال أسوأ[5]. ويستمر الجدال بينهما، ولكنه في رأيي لم يبطيء من حركة المسرحية، كما هو الحال في حوار الفصل الأول، وذلك لتدخل حميدة بينهما وتقديمها الطعام لهما وزجر سليمان إذا تمادى في تشكيكاته، مما يغير وجهة الحديث قليلاً، إلا أنهما ما يلبثا أن يعودا إليه.

---

[1]- الحاج عثمان، رحمة بنت أحمد: نافذة على تاريخ إندونيسيا من خلال مسرحية "عودة الفردوس" لعلي أحمد باكثير، مرجع سابق، ص 9

[2]- باكثير، علي أحمد: مسرحية عودة الفردوس، مرجع سابق، ص ص 70-71

[3]- المرجع السابق، ص 71

[4]- المرجع السابق، ص 72

[5]- المرجع السابق، ص 73

ومما أخذه سليمان على التعاونيين هو إرسال الفتيات الإندونيسيات لتمريض اليابانيين الذين لا يعرفون للشرف قيمة، مدللاً على ذلك بحادثة "البنات الممرضات اللاتي أرسلن إلى سنغافورة بدعوى تمريض الجرحى هناك، فأكرهن على مصاحبة الضباط اليابانيين للترفيه عنهم حتى انتحر كثير منهن خشية العار"[1]، ويرد ماجد بأن الزعيم سوكرنو قد "احتج على هذه الحادثة وألزم اليابانيين أن لا ينقلوا الفتيات الوطنيات بعيداً عن أهلهن وذويهن، لأن التقاليد الإسلامية تمنع ذلك"[2].

وقد كشف هذا الحوار بين الرجلين عن سعة اطلاع باكثير على أدق تفاصيل مجريات الأحداث في إندونيسيا بما يبعث على الدهشة، لبعد ما بين مصر وإندونيسيا من مسافة ولصعوبة نقل الأخبار في تلك الأيام مقارنة بأيامنا الآن. وقد وقف باكثير موقفاً وسطاً فلم ينحز لأحد الفريقين، بل ترك كل فريق يعبر عن وجهة نظره بحرية تامة. وهو بهذا يريد أن يوجه رسالة للشعب الإندونيسي أن يعذر كل فريق منهم الآخر، وأن لا ينشغلوا بالخلافات الداخلية فيما بينهم عن المهمة الكبرى التي أمامهم وهي تحرير بلادهم وإعادة بنائها وإقامة نهضتها. وقد جعل باكثير الزعيمين شاهرير وسوكرنو يعلنان للشعب الإندونيسي في نهاية المسرحية أنهما كانا على اتفاق مسبق، وأن الخلاف الظاهري بينهما كان متفقاً عليه، وتقسيماً للأدوار بينهما، وأنهما لم يكونا إلا على وفاق تام فيما يقومان به منه من أعمال سواء المقاومة المسلحة أو المطالبة السليمة. ولعل هذا هو الشيء الوحيد الذي خالف فيه باكثير الأحداث التاريخية، فهذا لم يحدث في التاريخ، ولكن باكثير جعله يحدث في المسرحية، لأن باكثير كان لا يتناول أحداث التاريخ، كما هي في الواقع، بل كما ينبغي أن تكون.

وقد ذكرت د. رحمة أن باكثير قد أحدث تغييرات أخرى في المسرحية عن الواقع، أهما اثنان[3]: الأول أنه جعل اليابانيين يقبضون على سوكرنو ذلك اليوم لئلا يحضر المؤتمر فجيء به على رؤوس الشعب بعدما قامت الثورة في وجوه اليابانيين، في حين يتضح من خلال الرواية التاريخية أن زمرة من الشبان الإندونيسيين المتحمسين للاستقلال هم الذين حبسوه مع مجموعة من الزعماء حتى يقنعوهم بإعلان الاستقلال في أسرع وقت، والثاني هو تخيير الشعب في اختيار رئيسهم بين اثنين هما سوكرنو وشاهرير، بينما يصرح شهاب أن

---

[1]- المرجع السابق، ص ص 79-80

[2]- المرجع السابق، ص 80

[3]- الحاج عثمان، رحمة بنت أحمد: نافذة على تاريخ إندونيسيا من خلال مسرحية "عودة الفردوس" لعلي أحمد باكثير، مرجع سابق، ص 12

الأحزاب والقوى الوطنية التي كانت معظمها حركات إسلامية رأت أن تختار سوكارونو ومحمد حتا إرضاء لغير المسلمين وتكتيلاً للقوى المعارضة المناضلة. وقد أشادت الدكتورة رحمة بعمل باكثير هذا قائلة:

"كان باكثير حريصا كل الحرص على نقل الأحداث الكبرى لاستقلال إندونيسيا بكل دقة وأمانة مما يمكننا من تشبيه هذه المسرحية بالمسرح التسجيلي من هذه الناحية. ولكنه من ناحية أخرى لم ينزلق وراء تسجيل الأحداث تسجيلا مادياً بحتاً بل اعتمد في سردها على الدراما القائم على هامش الأحداث الأساسية"[1].

الملاحظة الأخيرة، هي أن باكثير قد أجاد في وصف الحياة الاجتماعية للمجتمع الإندونيسي وبين تمسك الإندونيسيين والتزامهم بالدين، فالحاج عبد الكريم لا تفارق المسبحة يده، ويحرص على أداء الصلوات جماعة في المسجد، والأم تصلي جماعة مع ابنتها، وتقرأ آية الكرسي حينما أصابها الخوف من الطارق المجهول، كما يؤكد على التزام الإندونيسيين بالمذهب الشافعي، حيث تشك الزوجة إن كان وضوءها قد انتقض حين أعطت زوجها العصا، إذ إن المذهب الشافعي يرى أن لمس المرأة من غير المحارم ينقض الوضوء.

كما برهن باكثير على إلمامه بأنواع الأطباق والمأكولات الإندونيسية كالسانتان والدوريان، وببعض التقاليد الإندونيسية كصناعة أطباق الزهر من ورق الموز الأخضر، وغير ذلك. وقد أشادت د. رحمة بما ورد في المسرحية من وصف دقيق لمظاهر الحياة في إندونيسيا آنذاك حيث وفق باكثير في نقل عادات الإندونيسيين وتقاليدهم في المأكل والمشرب وفي اللباس والزينة[2].

وهكذا نجد أن مسرحية (عودة الفردوس) التي أهداها باكثير إلى الشعب الإندونيسي بمناسبة استقلاله والنشيد الوطني الإندونيسي الذي ترجمه من الإندونيسية إلى العربية، هما بحق، كما وصفتهما د. رحمة، شهادتان على وفاء باكثير لموطنه إندونيسيا[3].

---

[1]- المرجع السابق، ص 16

[2]- المرجع السابق، ص 16

[3]- المرجع السابق، ص 4

الخاتمة

استعرضنا في الصفحات السابقة، اهتمام الأديب علي أحمد باكثير بمسقط رأسه إندونيسيا، وتناوله لها في أعماله الأدبية الشعرية والنثرية. وقد رأينا أن إندونيسيا وقضاياها قد تجلت في شعر باكثير كما تجلت في أدبه المسرحي. ففي الشعر كتب باكثير قصائد متعددة عن إندونيسيا تمثلت في أربعة مظاهر:

المظهر الأول هي القصائد التي كتبها أثناء زيارته لإندونيسيا عام 1927 وهو في السابعة عشرة من عمره، ومعظمها يدور حول التغزل بالفتيات الإندونيسيات اللاتي التقاهن في إندونيسيا. والمظهر الثاني هو القصائد التي كتبها حول الخلاف الذي نشب في إندونيسيا بين المهاجرين الحضارمة حيث انقسموا إلى فريقين لكل فريق جمعية تمثله، هما: جمعية الإرشاد، ورابطة العلويين، وقد وقف باكثير موقفاً وسطاً فلم ينحز إلى أحد الفريقين، بل دعاهما إلى التصالح والتسامح، وتقبل كل منهما للآخر. والمظهر الثالث هو في القصائد التي نظمها باكثير في مصر محتفياً بالمجاهدين والأعلام الإندونيسيين الذين يزورون مصر، مرحباً بهم، مادحاً لهم، مؤيداً لهم في سعيهم إلى استقلال بلادهم، ورثائه لمن يتوفى منهم. والمظهر الأخير هو في الأناشيد التي كتبها باكثير ابتهاجاً باستقلال إندونيسيا، وأشهرها ترجمته للنشيد القومي الإندونيسي شعراً عن اللغة الإندونيسية التي ظل باكثير يجيدها حتى وفاته.

أما أعماله المسرحية فقد خص باكثير إندونيسيا بمسرحية (عودة الفردوس) التي تصور كفاح الإندونيسيين في سبيل الاستقلال، وما عانوه من الاحتلالين الهولندي والياباني. وقد برهن باكثير بهذه المسرحية على إحاطته بأدق تفاصيل ما يجري على أرض إندونيسيا، رغم بعده عنها، كما برهن على حبه لإندونيسيا واعتزازه بالانتماء إليها.

والخلاصة التي يمكن الخروج بها من هذه الدراسة هي أن باكثير كان محباً لإندونيسيا فخوراً بانتمائه إليها، متابعاً لما يجري على أرضها من أحداث، يأسى لما يحدث فيها من خلاف بين أبناء البلد الواحد، ويفرح لاستقلالها وانتصارها على أعدائها. وتؤكد ترجمة باكثير للنشيد القومي الإندونيسي إلى اللغة العربية على أنه ظل متمكناً من اللغة الإندونيسية حتى أيام إقامته في مصر.

رحم الله باكثير ونأمل أن تترجم أعماله إلى اللغة الإندونيسية خاصة مسرحية (عودة الفردوس).

المصادر والمراجع

- باكثير، علي أحمد:
  - ديوان أزهار الرُّبى في شعر الصبا، تحقيق: محمد أبوبكر حميد، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، 1408هـ/1987م.
  - ديوان سحر عدن، تحقيق: د. محمد أبوبكر حميد، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، 1429هـ/2008م.
  - مسرحية عودة الفردوس، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت.
  - مسرحية هُمام أو في عاصمة الأحقاف، المطبعة السلفية، القاهرة، 1353هـ.
  - قصيدة (العرب في مهاجرهم)، مجلة الفتح، القاهرة، العدد (311)، السنة السابعة، 21 جمادى الأولى 1351هـ، ص 14.
  - قصيدة (ماذا في عسير)، مجلة الفتح، القاهرة، العدد (327)، العام (7)، بتاريخ: 15 رمضان 1351هـ، ص 3.
  - قصيدة (تحية الدكتور سوتومو)، مجلة الفتح، القاهرة، العدد (514) العام (11)، بتاريخ 24 جمادى الآخرة 1355هـ، ص ص 6-7 .
  - قصيدة (ذكرى ستومو)، مجلة الفتح، القاهرة، العدد (611) العام (13)، بتاريخ 23 جمادى الأولى 1357هـ، ص ص 16-17.
  - قصيدة (نداء العروبة والدين)، مجلة الفتح، القاهرة، العدد (621)، العام (13)، بتاريخ 5 شعبان1357هـ، ص 22.
  - قصيدة (بلادك يا حتّا)، مجلة الشؤون الإندونيسية، جاكرتا، عدد يونيو 1952م
- البكري، صلاح: تاريخ حضرموت السياسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1355هـ/1936م.
- الحاج عثمان، رحمة بنت أحمد، وسامي، عبد الغفار: نافذة على تاريخ إندونيسيا من خلال مسرحية "عودة الفردوس" لعلي أحمد باكثير، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للغة العربية بماليزيا:

إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، نوفمبر 2007، متوفر في موقع الأديب باكثير على هذا الرابط: http://bakatheer.com/moltaqa_details.php?id=526 (2017/10/16).

- السومحي، أحمد عبد الله: علي أحمد باكثير حياته وشعره الوطني والإسلامي، نادي جدة الأدبي، 1981م.